

## الحالة الاقتصادية والاجتماعية في السودان

للككتور يوسف نحاس بك

لم أبلغ من رحلتي الى السودان في هذا العام التي استغرقت زهاء شهرين سوى الامتصاص والافادة من جوه شانه اكما دقي في السنوات السابقة. إلا أن مصاحبة صديق خليل مطران بك لي في هذه الرحلة قد جعلت من المستحيل أن أتجنب مقابلة اخيرتنا السودانيين الكرام الذين احتفلوا بالشاعر العربي الكبير احتفالا منقطع النظير كنت من شهوده، فأتيت لي التحدث الى فريق عظيم من الصحافيين ورؤساء الأندية ورجال الأعمال وأولى الراى فتيبات في اثبتت:

أولا - أن السودانيين يحبون مصر حب الأشقاء الأوفياء، ويردون من قلوبهم أن تزداد وشائج الود بيننا وبينهم توثقا، وقد أبدوا في أكثر من مناسبة أسفهم من أن المصريين لا يزورون القطر الشقيق الا نادرا ولا يسعون الى تقوية العلاقات الثقافية والرياضية الاقتصادية بين القطرين، وقد تجل هذا الأسف في متعدد الخطب والقصائد التي سمعنا في كل حفلة من الحفلات التي أقامها نادي تحريجي الخرطوم ونادي تحريجي أم درمان والنادي السوري ونادي النهضة النوبية ونادي عمال الخرطوم ونادي عمال أم درمان وملجأ الترش والآدي المصري ومدرسة فاروق الأول ومدرسة الأقباط ونادي حلفا بجديتها الخ . وكأها ملأى بالعواطف الكريمة والاشادة بمصر والتعلق بملكها العظيم .

ثانيا - أن المستوى الثقافي قد ارتقى رفيا يدعو الى الإعجاب، كما أن تهطش السودانيين الى التعلم بلغ مدى يشر بكل خير، فالمدارس مكتظة بالطالبة الى أقصى ما تسمح له . وقد تلمت من حضرة المربي المفضل الأستاذ محمد عبد الهادي بك مدير مدرسة فاروق الأول الثانوية الذي سافر الى الملاكال ثم عاد الى الخرطوم أثناء اقامتنا هناك ليفتح مدرسة ابتدائية متدة لقبول نحو ٦٠ تلميذا أنه تقدم اليه أكثر من ضعف هذا الرقم من الأولاد الراغبين في الالتحاق بها .

أما العارة النخمة التي تشاد الآن في الخرطوم لتكبير مدرسة فاروق الثانوية فقد يتهمى إعدادها في مدى شهور قلائل، وأن الذي شاهدناه من بواكير التعليم في العام الدراسي الأول بها قد شرح صدورنا، ولا نبالغ إذا قلنا إن التلاميذ أبدوا من علامات النجاح ما يعادل إن لم يفتق النجاح في مدارسنا الثانوية بمصر فاستشرفنا وتوسمنا الخير للثقافة المصرية في السودان يوم يتم هذا المبنى الحديد ويؤمه العدد الكبير الذي يتسع له من التلاميذ. كذلك وجدنا مدرسة الأقباط سائرة على سنن التقدم والرقى سواء في تعليم البنين والبنات فان هذا المعهد جدير في نظري بأن ينال من حكومتنا تشجيعا أكبر وإعانة أسخى تسد العجز في موارد ابيته في ترقية

رسالته العظيمة على الوجه الأكمل، فإلى ذلك يحسن توجيه نظر وزارة معارفنا ومعالى وزيرها  
المفضل .

ثالثا - إن النهضة الفكرية في السودان قد تناولت أيضا بشكل بارز الطموح إلى ترقية  
البلاد اقتصاديا ، فأخواننا السودانيون وفي مقدمتهم خريجي المدارس تواقون إلى تعرف  
الوسائل المؤدية إلى توطين الصناعات في ربوعهم وتأسيس المنشآت التي ترقى بها التجارة  
والصناعة . فما أن علموا بتقدمي حتى شرفوني بزيارتهم المتعددة طالين إلى أن أرشدتهم إلى  
ما يحسن عمله في هذا الصدد ومن الأسئلة الكثيرة التي أوجهت إلي :

( أ ) ما رأيكم في مشروع الجزيرة وما هي الطريقة المثلى لانتفاع السودانيون به عند  
ما تستولى حكومة السودان على أراضي الجزيرة في عام ١٩٥٠

( ب ) كيف تكون الدعوة المجدية لتكوين شركات مساهمة في السودان .

( ج ) هل آن الوقت لتأسيس بنك السودان .

( د ) ما رأيكم في إنشاء الصناعات وإقامة المعارض للتجات المحلية الخ .

وقد ألقى الصحافيون أيضا في استطلاع رأيي في توسيع نطاق الزراعة وفيما إذا كانت  
مصلحة السودان تتعارض مع مصلحة مصر الزراعية وما هو مقدار الاستعداد في مصر لاستثمار  
الأراضي السودانية الآن وما الذي حال دون استجابة المصريين لدعوة البعثة المصرية في الماضي  
لهذه الغاية، ودل تعدد تناقضية عياه النيل بما يوفر للسودان قسطا أكبر من تلك المياه يتعارض  
مع مصلحة مصر - وما هي أنجع الوسائل لتنمية العلاقات الاقتصادية بين القطرين الشقيقين  
وكيف ترون مستقبل السودان الاقتصادي الخ ؟ ؟

( رابعا ) أن ذوى الرأي في السودان يودون من صميم قلوبهم أن تمد لهم مصر يدها  
للنهوض بالصناعة والزراعة وذلك بأن يشتركوا معهم بالنفكر والمال لتأسيس شركات تستغل  
المرافق الزراعية والصناعية .

( خامسا ) أبدى اخواننا أسفهم الشديد لبردم ممارسة الخبير الاقتصادي مهمته منذ  
انتفى على وجوده في السودان . فهو ما أن يمين ويذهب إلى الخرطوم حتى يعود إلى مصر، ثم  
يعين سواه فما يلبث أن يخذو حذوا ذؤول، والمنصب الآن شاعر لم يشغله الخبير الذي عين  
منذ أمد طويل، ولم يفكر في تسلم المهام الموكولة إليه، فهذه حالة لا يسع كل مصري غيور على  
الاحتفاظ بعلاقاتنا بالسودان إلا أن يشترك مع السودانيون في التبرم بها والإهابة بالحكومة  
المصرية أن تعالجها بملاخ فعال يختمه ما يطمح إليه كل مصري من جعل القطرين الشقيقين  
قطرا اقتصاديا واحدا . فاذا ما ندب لأصعب رجل قدير مشبعة نفسه بهذه الأمنية مستعد

للتضحية بشيء من رفايته بأن يقيم في السودان اقامة مستمرة ( وليست وسائل الرفاهية غير متوافرة في الخرطوم اللهم الا من جهة الحالة الجوية التي يتحداها نفس الانكليزي بالامتنع ) اذا نذب ذلك الرجل فاننا نتوقع كل الخير والناذرة للبلدين من عمله .

وفي صدد انتخاب الموظفين للسودان أقول إن بعضنا من المصريين والسودانيين المحبين لمصر حبا شديدا أهدوا لي في عام اهذا وفي العام الماضي أيضا أمنية ألخوا على بنقلها الى ذوى الشأن، وهى أن يدقق كل التدقيق في اختيار الأشخاص الذين يرسلون ليشغلوا وظائف إدارية أو عسكرية في القطر الشقيق بحيث يكونوا قدوة حسنة واعلانا طيبا لمصر .

أقول ذلك مع اعترافى بأن جل الموظفين المصريين في السودان يتحلون بأخلاق حميدة ونشاط ملحوظ فضلا عما يبذونه من وطنية صادقة وتلف لكسب مودة إخوانهم السودانيين وعما يتبرعون به لهم من جهد صادق لإزالة الخلافات البسيطة التي لامندوحة عن وقوعها أحيانا، ويجب أن أخص بالذكر من حضراتهم فضيلة الشيخ حسن مأمون قاضى قضاة السودان وحضرة صاحب العسوة رئيس أركان حرب القوات المصرية بالسودان الأميرالاي شعبان بك يوسف وحضرة صاحب العزة صبرى الكردى بك المفتش العام لرى السودان وحضرة البكاشى على نجيب الباور المصرى لدى الحاكم العام بالخرطوم وحضرة الأستاذ محمد عبد الهادى مدير مدرسة فاروق الأول الثانوية، فهم وغيرهم ممن لم أورد أسماءهم هنا يؤدون رسالة مصر في السودان على أعدل ما يكون الأداء .

سادسا — إن حالة الزراعة في السودان بعيدة الشبه عنها في مصر ، فإنهم لم ينالوا من ارتفاع أسعار المحصولات الزراعية شيئا يذكر بسبب الأسعار الرسمية التي حددت لها في حين أنه قد أصابهم شيء من زيادة تكاليف الإنتاج وإن كانت تلك الزيادة لا تقارن بما أصاب تكاليفنا الزراعية ، وإنما هدفت الحكومة في جعل الأسعار منخفضة إلى أن لا تقهر السودان موجة غلاء المهيشة التي منيت بها مصر ، وقد نجحوا هناك في مدافعة الغلاء كما نجحوا نجاحا يضرب به المثل في تنظيم التموين تنظيميا محكما بما يتساوى فيه الرفيع والوضع ، كما أن الحكومة هناك قضت منذ البدء على السوق السوداء وحددت أرباح التجار في مختلف السلع تحديدا معقولوا لا يفكر أحد منهم سودانى أو غير سودانى في تجاوز نطاقه خشية أن يؤخذ بالعقاب الصارم السريع الذى يتل بمن ارتكب أصغر مخالفة ، فالسالة ثمة من حيث التموين والتجارة جديرة بالاعجاب وإن تكن حالة الزراعة غير مشجعة لهم على التوسع والانتان ولو أعينوا إعانة ميسورة ونالوا قسما أكبر من الربح لكانت فرصة مواتية لحفزهم فان قنطار القطن السكلاريدس يشتري منهم أجود نوع منه بنخسة جنينيات للقنطار وعلى هذا قس ثمن سائر المحصولات والمواشى .

## الاقتراحات

بعد هذا البيان أعرض للذين يهتمون بأسر العلاقات المصرية السودانية الاقتراحات التالية التي استمدها مما تبينته من رغبات وأماني ومشاهدات أوجزها فيما يلي :

أولاً - على رجالنا الرسميين أن يكثروا من زيارة السيدان، وعلى رجال المال والأعمال والهيئات الزراعية والصناعية والتجارية أن تمتثل ذلك أيضاً حتى يتكون في هذا التراور مدعاة لحسن التفاهم وتبادل المنافع وتقوية الروابط ، وللحكومة رسالة ثقافية هي ، ااضية في تأديتها وإنما نرجو أن تسخو بالإعانات لتشجيعها ، ونرجو كذلك أن تساعد على تشييد المنشآت الاجتماعية وقد علمت أنها قد اعترمت بناء مستشفى مصري بالخرطوم وقدرت تكاليفه بنحو ثلاثين ألف جنيه ، إلا أن هذا المشروع لم ينفذ للآن لأسباب اعتقد أنه في استطاعة معالي وزير الصحة المهام لإزالتها وهذا المستشفى ضروري للمقيمين في السودان وللسودانيين أيضاً وهو من أجل الأعمال التي تتخذ ذكرى مصر في القطر الشقيق .

ثانياً - على مصر أن تشجع النهضة الصناعية التي تجتاز بوادرها لنا فإن من الصناعات ماله نجاح محقق إذا ما اشترك المصريون في دراسة ممكاتها وتفصيلها وما هموا بالمسال الكبير المتوفر لديهم لتشييدها . وفي السودان الآن متنازع الزجاج وديج الجلود ونسج الدمور وعمل الأزرار وهذه الصناعات وغيرها قابلة للتوسع والنماء وخصوصاً صناعة اللومور الذي يكتسى به سواد الأهاليين منذ كانت السودان تعول على اليابان للحصول عليه وتدفع لها قبل الحرب نصف مليون جنيه سنوياً عماله . فإذا ما تزعم بنك مصر بمعاوضة البعثة السودانية ووزارة التجارة حركة الدعوة لإنشاء صناعات في السودان كان في ذلك الخير كل الخير من جميع النواحي للقطرين معاً .

ثالثاً - الزراعة في السودان مفتقرة الى المسال والأيدي العاملة للاستفعاغ بالأراضي الجيدة القربة التي لا تزال باثرة والتي يحسن أن توجه نظرنا إليها لزراعها واجتناء ثمراتها مادامت الأحوال قد تبدلت منذ عام ١٩٣٥ تبديلاً يقتضيه أن نحث مواطنينا على ما كنا لم نرتبه حين وضعت مع زميلي في القنابة الزراعية تقريرنا في ٢٠ مايو سنة ١٩٣٥ على أننا قد اختتمنا للتقرير بالعبارات التالية :

” أما مسألة تملك المصريين بعد أن تكون قد أزيلت جميع العوائق التي أشرنا إليها في أثناء هذا التقرير فهي مسألة نسبية وتقديرية يرجع فيها إلى رأي كل راغب في التملك وقد يكون اقتناء أرض متوسطة الجودة أمراً صريحاً إذا أمكن الحصول عليها بنحو ملائم وأمكن استغلالها باطمئنان ، واستطاع صاحبها أن يكثرتلها الأيدي العاملة وهي من كبريات المصاعب في السودان كما أشرنا آنفاً . وجملة القول أننا ننتصح للذين يخاطرونهم بهذا التملك خصوصاً إذا أخرجت إلى حيز الوجود فكرة إنشاء شركة مصرية سودانية لهذا الغرض أن يكون ما تبدأ به دراسة جميع العوامل الاقتصادية والزراعية في المنطقة المراد شراؤها... فإذا ما ملكت

الشركة بعد المباحث الرومية فهي ستفيد المصريين أفرادا . برتها المكنتبة من ممارسة العمل ويستنى لما أن ترشدنهم إرشادا حكيما مأمون العاقبة بقدر ميسور .

والآن وقد تلاشت بن لم تكن قد زالت بناتا العوائق التي بناها في تقريرنا الآنف الذكر، فاني أرجو مخلصا أن تحقق في التريب الفكرة التي قامت لدى صديقي المفضل حضرة صاحب السعادة نؤاد أباطله باشا وبعض الزملاء المحترمين بأن تؤسس شركة زراعة الى جانب الشركة التجارية التي أنشأها ونالت قسطا مشجعا من النجاح . وما تزال أسعار الأراضي في السودان زهيدة جدا فهي تدعو الى اغتنام الفرصة وهناك المناطق الواقعة بحرى الخرطوم وهي أراض تصاح للاستغلال الزراعى المربح لخصبها وقربها من النيل .

ولى وطيد الأمل أن تنظر الحكومتان المصرية والسودانية الى هذا المشروع بعين العطف والتشجيع، وأن تمتد بما تيسر من المساعدات فيخف بذلك الضغط المتأني من تكاثر السكان في مصر تكاثرا يوجس الباحثون منه خيفة وتزداد روابط التطرين ، ناهيك بما كشفت عنه ظروف الحرب الحاضرة من أن العالم أصبح في حاجة ماسة الى أن تستقل الأراضي الصالحة في كل أنحاء الأقطار استغلالا يفي كل بلد ثمر المفاجآت التي فاجأتنا بها هذه الحرب من نقص في الانتاج الزراعى .

وربما كان من المفيد أيضا أن يتجه التفكير الى إنشاء الغابات في السودان استنعا بما تجود به من الأخشاب العظيمة القيمة أظهرت الحرب أيضا ميسب الحاجة اليها فضلا عما تحدثه هذه الغابات من تلطيف الجو ومنع الرياح الموسمية الشديدة .

رابعا - مسألة مياه النيل - كل مسمى للتوسع في الزراعة السودانية يبدو عظيما إن لم تسارع مصر الى الانتفاع بهاء النيل التي تذهب ضياعا في البحر الأبيض المتوسط فتحجزها ليستفيد منها القطران الشقيبان، ولقد طال المطال على الدراسات والبحوث، والشأن أخطر وأهم من أن تستمر ضرر خطة التلكؤ والتريث ، وهناك من المشروعات المدروسة دراسة وافية ما يسمح بأن نبت فيها بلا إهمال ولا تواكل ، وإلى ذلك نرجو أن تتوجه النيات الصادقة والعزائم الماضية ؛ نسأل الله التوفيق في خدمة السودان العزيز الذي هو قطعة من جعم مصر .

النيل مرآة النجوم وكهف عالمها الرحيب  
بل قعدة الشمس التي تسلو بها شجن المغييب  
وقصيدة الشرق المعطل . مرة المظهرة الجيوب